مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فصول

مجلة النقد الأدبي

تصدر كل ثلاثة أشهر

٢ المجلد الأول
العدد الثاني
يناير ١٩٨١
ربيع أول ١٤٠١

فصول
مجلة النقد الأدبى

تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة
صلاح عبد الصبور

رئيس التحرير
د. عز الدين اسماعيل

نائبا رئيس التحرير
د. صلاح فضل
د. جابر عصفور

سكرتيرة التحرير:
إعتدال عثمان

سكرتير التحرير التنفيذى:
محمد ابو دومه

الإشراف الفنى:
سعيد المسيرى

مستشارو التحرير
د. زكى نجيب محمود
د. سهير القلماوى
د. شوقى ضيف
د. عبد الحميد يونس
د. عبد القادر القط
د. مجدى وهبه
د. مصطفى سويف
نجيب محفوظ
يحيى حقى

● الأسعار فى البلاد العربية

الكويت ٧٥٠ فلسا ـ الخليج العربى ١٥ ريالا قطريا ـ البحرين ١ دينار ـ العراق ١ دينار ـ سوريا ١٤ ليرة ـ لبنان ١٠ ليرة ـ الأردن ٨٥٠ فلسا ـ السعودية ١٥ ريالا ـ السودان ١ جنيه ـ تونس ١ دينار ـ الجزائر ١٥ دينارا ـ المغرب ١٥ درهما ـ اليمن ١٢ ريالا ـ ليبيا ١ دينار .

● الاشتراكات

● الاشتراكات من الداخل :

عن سنة (أربعة أعداد) ٢٠٠ قرشا . . ومصاريف البريد ١٠٠ قرش .
ترسل الاشتراكات بحوالة بريدية حكومية .

● الاشتراكات من الخارج :

عن سنة (أربعة أعداد) ١٥ دولارا للأفراد و ٢٤ دولار للهيئات . مضافا إليها مصاريف البريد (البلاد العربية ـ ما يعادل ٥ دولار) .
(أمريكا وأوروبا ١٥ دولار) .

● ترسل الاشتراكات على العنوان التالى :

مجلة فصول ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب شارع كورنيش النيل ـ بولاق ـ القاهرة ـ ج . ع . م تليفون المجلة ٩٧٢٦٤٩ .

● الاعلانات

يتفق عليها مع إدارة المجلة أو مندوبيها المعتمدين .

مناهج النقد الأدبي المعاصر

الجـــزء الأول

محتويات العدد

صفحة

أما قبل ..... رئيس التحرير ٥
هذا العدد ..... التحرير ٦

- مدخل :

مناهج النقد الأدبي
بين المعيارية والوصفية ..... د . عز الدين اسماعيل ١٥

- الاتجاه النفسي :

ـ التحليل النفسي للأدب ..... د . فرج أحمد فرج ٢٦
ـ الدراسة النفسية للابداع الفني ..... د . مصري حنورة ٣٩
ـ قيمة الاصلاح
ومنافذ اليها في سير بعض الأدباء ..... د . محي الدين أحمد حسين ٥٢

- الاتجاه الاجتماعي :

ـ الأدب والمجتمع ..... د . صبري حافظ ٦٥
ـ اجتماعية الأدب ..... جي بوريلي ٧٨
ـ عن البنيوية التوليدية ..... د . جابر عصفور ٨٤
علم اجتماع الأدب ..... لوسيان جولدمان ١٠١

- الأسلوبية :

ـ علم اللغة والنقد الأدبي ..... د . عبده الراجحي ١١٥
ـ الأسلوبية الحديثة ..... د . محمود عياد ١٢٣
ـ الأسلوبية : علم وتاريخ ..... ترجمة د . سليان العطار ١٣٢
ـ مع الشابي :
بين المقول الشعري والملفوظ النفسي ..... د . عبد السلام المسدي ١٤٥

- البنيوية :

ـ الشكلية : ماذا بقي منها ؟ ..... د . فتوح أحمد ١٦٠
ـ البنائية : من أين وإلى أين ؟ ..... د . نبيلة ابراهيم ١٦٨
ـ الشحاذ : دراسة نفس ـ بنيوية ..... د . هدى وصفي ١٨١
ـ موقف من البنيوية ..... د . شكري عياد ١٨٨

- ندوة العدد :

(اتجاهات النقد الأدبي) ..... إعداد : اعتدال عثمان ٢٠١

- الواقع الأدبي
- تجربة نقدية :

موسم الهجرة إلى الشمال ..... سيزا قاسم ٢٢٤

- عرض دراسات حديثة :

ـ البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي ..... عبد الحميد حواس ٢٣١
ـ الألسنية والنقد الأدبي ..... شكري عياد ٢٣٨
ـ البوطيقا البنيوية ..... ماهر شفيق فريد ٢٤٦
ـ عن فن الأدب العربي في العصر الوسيط ..... حسن البنا ٢٥١

- متابعات أدبية :

ـ عبد الفتاح رزق وبداية اللعبة الفنية ..... د . سيد حامد النساج ٢٥٦
ـ رامة والتنين ..... سامي خشبة ٢٦١
ـ قصاص بلا عاطفة ..... د . نعيم عطية ٢٧٠

- الدوريات الاجنبية :

ـ الدوريات الانجليزية ..... فريال غزول ٢٧٢
ـ الدوريات الفرنسية ..... د . هدى وصفي ٢٨٠

- رسائل جامعية :

ـ عرض رسائل ..... شاكر عبد الحميد سليان ٢٨٥
لقاء أنس الوجود
ـ سجل رصدي ٢٩١

- ببليو جرافيا : ٢٩٧
- تقارير :

ـ مؤتمر الكتاب السابع عشر ..... نصار عبد الله ٣٠٠
ـ This Issue ترجمة د . إسحاق عبيد

کتابخانه مرکز اطلاع رسانی
بنیاد دایرة المعارف اسلامی

الدكتور عبده الراجحى

علم اللغة والنقد الأدبى

«علم الأسلوب»

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

منذ القديم والدرس اللغوى متصل بالنص الأدبى ، كان كذلك فى الشرق ، وكان كذلك فى الغرب . واللغويون المحدثون يأخذون على الدرس القديم ، أو ما يسمونه «النحو التقليدى» ، أنه يصدر أولا عن «المعنى» ، وأنه ينبنى على نصوص مختارة اختيارا دقيقا بحيث تمثل «المستوى العالى» من الاداء اللغوى .

والذى لا شك فيه عندنا أن الدرس اللغوى عند العرب صدر ـ فى نشأته ـ عن اتصال بالنصوص الفنية ، وبخاصة فى صورتها القرآنية ، وفى صورتها الشعرية ، ومن هنا كان الانتقاد الحديث الذى يُوجه إليه من أنه لا يمثل العربية ، وإنما يمثل جانبا معينا منها ، فى المستوى ، وفى الزمان ، وفى المكان .

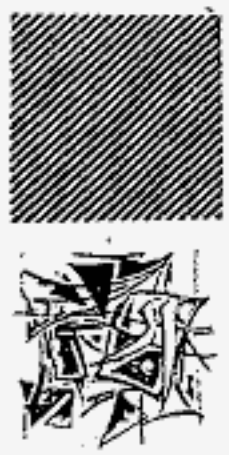

على أننا نشير إلى أن العرب القدماء أفردوا درسا لغويا خاصا للتعليق على النصوص الأدبية كالذى قدمه «الفراء» فى «معانى القرآن» ، أو ما قدمه أصحاب الاحتجاج للقراءات «كحجة» أبى على الفارسى ، و«محتسب» ابن جنى ، أو ما قدموه من شرح لغوى للشعر كشرح «بانت سعاد» أو شرح ابن جنى لِديوان المتنبى . ولكن هذه الأعمال كلها لم تكن تصدر عن نظرية واضحة أو منهج محدد ، وإنما هى ملاحظات لغوية جزئية يسوق إليها النص حسبما كان وينقلها الخالف عن السالف دون أن تقدم شيئا جديدا إلا أن يكون تطبيقا حيا لما تحتويه كتب النحو والصرف والبلاغة .

وحين بدأت النهضة اللغوية الحديثة فى الغرب فى القرن الماضى فيما يعرف بالفيلولوجيا philology ظلت الآصرة قوية بين البحث اللغوى والأدب . لأن الفيلولوجيا لم تكن تنظر إلى اللغة على أنها غاية فى حد ذاتها ، وإنما هى وسيلة لفهم «الثقافة» ، ومن ثم كان تركيزهم على النصوص الأدبية القديمة تحقيقا وتفسيرا ، مما دعا واحدا من كبارهم هو جريم Jacob Grimm . أن

يلفتهم إلى أن النصوص الأدبية المكتوبة لا تمثل إلا جزاء يسيرا من اللغة ، وأن عليهم أن يهتموا بدراسة اللهجات والآداب الشعبية .

وظل الأمر كذلك إلى أن ظهر علم اللغة الحديث Linguistics أوائل هذا القرن ، وحين نادى **دى سوسير** بأن «**موضوع علم اللغة الصحيح والوحيد هو اللغة فى ذاتها ومن أجل ذاتها**»[1] .

* * *

وعلم اللغة ينهض فى جوهره على أساسين ، أولها أنه علم Science ، وثانيهما أنه مستقل Autonomous ولعل السبب الأول فى هذين الأساسين أن أصحابه أرادوا أن يبعدوه عن كثير من العلوم . وأولها النقد الأدبى الذى يرونه «إنسانيا» «تقييميا» ، وكان دى سوسير قد دعا إلى التفريق بين La langue (اللغة المعينة) و Le Paroie (لغة الفرد) ، منتهيا إلى أن علم اللغة يدرس اللغة المعينة التى تمثل الخصائص «الجمعية للمجتمع» ولا ينبغى أن يلتفت إلى «لغة الفرد» لأنها تصدر عن «وعى» ولأنها لذلك تتصف «بالأختيار» الخ . وقد أكد **بلومفيلد** بعد ذلك أن دراسة «المعنى» هى «أضعف» نقطة فى علم اللغة ، وكل أولئك كان جديرا أن يؤدى إلى قطيعة بين الدرس اللغوى والدرس اللغوى والدرس النقدى ، ولئن كان علم اللغة يتميز بالدقة ، و«الموضوعية» فإنه فقد «إنسانيته» واستحال إلى «وصف» محض، غارق فى المصطلحات والرموز الفنية التى تبدو غريبة على غير المتخصص ، وقد تبدو غير ذات نفع محقق فى التطبيق الواقعى ، على أن علم اللغة قد عاد إلى شئ من هذه «الإنسانية» فى السنوات الأخيرة حين دعا **تشومسكى** Chomsky وأتباعه من التحويليين إلى نبذ الوصف «السطحى» والعودة إلى التفسير «العقلى» للغة باعتبارها أهم ما يميز الإنسان ، وباعتبارها خلاقة creative تتكون من عناصر محدودة ولكنها تنتج تركيبات وجملا لا نهاية لها ، ومن ثم فهى لا تخضع للتفسير الآلى Mechanical explanation اقتداء برأى **ديكارت**[2] . وإذا كان الأمر كذلك فإن علم اللغة ينبغى أن يدرس فى ضوء «الطبيعة البشرية» التى تؤكد أن «قدرة» الإنسان على اللغة برهان على أن هناك جانبين مهمين هما «الكفاءة Competence» و«الأداء performance» ، وهذان الجانبان كانا سببا فى نشأة مصطلحى «البنية العميقة Deep Structure» و«بنية السطح Surface Structure» وهما مصطلحان يمثلان ركيزة البحث اللغوى الآن عند التحويليين ، وقد كانا دافعا إلى الاستعانة بمباحث «العقل» ومباحث «علم النفس» مما له أثر فيما نحن بصدده الآن .

ولكن إذا كان اللغويون قد سعوا جاهدين فى أن يبتعدوا بعلمهم عن ميدان النقد الأدبى فإنهم عادوا بهذا العلم إليه من باب آخر ، عادوا ليستخدموا «أدواتهم» اللغوية فى تناول النص الأدبى ، وهو ما يعرف الآن بعلم الأسلوب ؟

فما هو هذا العلم ؟ وما هو المنهج الذى ينهجه فى معالجة الأدب ؟

* * *

ولعلى أشير ـ بدءا ـ إلى أننا من الأسف ـ مضطرون دائما أن نقدم الخطوط العامة للمنهج على هيئة دراسة أولية ، لأننا لا نزال متخلفين ـ فى الدرس العربى ـ تخلفا شديدا عن مسايرة التطور المتلاحق فى البحث اللغوى الحديث بحيث تكاد تغيب الأسس الضرورية عن عامة الباحثين الناشئين .

وعلم الأسلوب هو الذى يطلق عليه فى الانجليزية Stylistics وفى الفرنسية La Stylistique وفى الألمانية Die Stylistik ، والباحث فى الأسلوب Stylistician هو الذى يطبق منهجه على النصوص الأدبية .

يرى اللغويون أن النقد الأدبى درس «تقييمى» يقوم على «الانطباعات الذاتية» ، وعلى «الحدس» ، ومن ثم فهو يقدم ، فى رأيهم ـ مقاييس موضوعية ، للعمل الأدبى ، من أجل ذلك يقدمون «علم الأسلوب» كى يكون الخطوة الأولى أمام الناقد ، تضع بين يديه المادة اللغوية فى العمل الأدبى مصنفة تصنيفا علميا لعلها تساعده على فهم العمل فهما أقرب إلى الموضوعية . ومعنى ذلك أن علم اللغة يطبق «فنون» البحث اللغوى على النص الأدبى وبخاصة فيما يعرف «بمستويات التحليل» على ما يظهر فى العرض التالى .

علم الأسلوب إذن فرع من علم اللغة ، لكنه يفترق عنه افتراقا جوهريا لأن مادة الدرس فيهما مختلفة . ولأن هدف الدرس مختلف فيهما أيضا . علم اللغة يقصد اللغة

العامة التى لا تميزها خصائص فردية ، أى أنه يقصد اللغة ذات الشكل «العادى» وذات الأنماط العادية مما يستخدمه المجتمع منطوقا فى التوصيل فى حياته اليومية. ونظرية تشومسكى الجديدة لا تختلف عن النظريات الوصفية السابقة فى تحديد المستوى اللغوى لأنها تتوجه عنده إلى الإنسان صاحب اللغة Native Speaker أو ما يسميه بالمتكلم السامع المثالى Ideal Speaker-Hearer فى مجتمع لغوى متجانس يعرف لغته معرفة كاملة . وهدف علم اللغة هو أن «يصف» اللغة ويبين «كيف» تعمل ، وهو لذلك يتحرك من «الخاص» إلى «العام» ، ومن «الجزئى» إلى «الكلى» ، دون أن يلق بالا إلى الاختلافات النوعية بين الأفراد .

والحق أن علم اللغة ـ بإصراره على الطبيعة العلمية ـ قد أحال اللغة إلى شئ كالماء لا طعم له ولا رائحة . وهنا تبدو قيمة علم الأسلوب . وليس من همنا هنا أن نشير إلى الاختلاف الشديد على تعريف «الأسلوب» باختلاف المتناولين له ، ولكن الذى يهمنا هو ما يقصده اللغويون حين يعالجونه فى هذا العلم . «الأسلوب» هو شكل من أشكال «التنوع» فى اللغة ، فإذا كانت اللغة التى يدرسها علم اللغة هى الأنماط العامة العادية فإن ذلك ينفى أن هذه اللغة ذاتها تنتظم «تنوعات» Variations مختلفة على معايير مختلفة من المكان والاجتماع والأفراد . وعلم الأسلوب يقصد بعضا من هذه التنوعات وبخاصة على مستواها الفردى .

ولغة الأدب هى نمط من أنماط (الأسلوب) لأنها «تنوع» لغوى فردى ، والبون شاسع بين الكتابة الأدبية واللغة العادية ، لأن اللغة العادية «تلقائية» لا تصدر عن «وعى» ولا عن «اختيار» ، وهى تشكل معظم النشاط اللغوى الإنسانى ، أما الكتابة الأدبية فهى لغة فردية خاصة ، تصدر عن اختيار واع ، ومن ثم كانت خروجا عن النمط العادى Deviation from the norm **ومن هنا أيضا كان قول القائلين بأن الأسلوب هو الرجل ، أو بأن الأسلوب كبصمات الإنسان** . على أن هذا الخروج عن النمط العادى ينبغى ألا يؤخذ ضربة لازب ، لأن اللغة العادية التى يدرسها علم اللغة إنما تقدم العناصر العامة فى لغة الحياة ، ولا تنفصل عنها لغة الأدب ، لكنها تقيم معها «علاقة خاصة» باستخدام عناصرها نفسها لبناء هياكل جديدة خاصة بها ، مضيفة إلى اللغة قواعد جديدة فى الصوت وفى الكلمة وفى تركيب الكلام . أى أن لغة الأدب ـ بمعنى آخر ـ تكشف عن «الطاقات» التعبيرية «الكامنة» فى اللغة العادية ، والتى لا تظهر إلا باستخدام «الفرد» لها استخداما متميزا ، وعلم الأسلوب يهدف إلى دراسة هذه «الكوامن» التعبيرية من دراسته للغة أديب معين . ولعل هذا الجانب يؤكد الصفة التى أكدها تشومسكى بأن اللغة خلاقة Creative تتكون من عناصر محدودة وتنتج أو «تولد» أنماطا لا نهاية لها .

ومعنى ذلك أن علم اللغة يدرس «ما» يقال فى اللغة ، أما علم الأسلوب فيدرس «كيف» يقال ما فى اللغة ، أو أن «الأسلوب» هو ما «يتركه» علم اللغة . وإذا كان علم اللغة «وصفيا» ، وإذا كان النقد الأدبى «تقييميا» على ما يقول اللغويون فإن علم الأسلوب «وصفى» تقييمى» .

■ اتجاهات علم الأسلوب :

ومن هذا الفهم لمعنى «الأسلوب» تتفرع اتجاهات العلم الذى يدرسه ثلاثة اتجاهات :

١ ـ إتجاه يدرس الأسس النظرية لبحث الأسلوب ، وهو ما يمكن أن يسمى «علم الأسلوب» العام General Stylistics ، يقدم فيه أصحابه القوانين العامة التى تحكم الدرس الأسلوبى دون أن يكون ذلك مرتبطا بلغة معينة وهو بذلك يضارع علم اللغة العام General Linguistics ، أى أنه علم غير تطبيقى ، وقد ظهرت فيه حتى الآن أبحاث غير قليلة على نحو ما قدمه **هاليداى** Halliday **وأولمان** Ullmann وغيرهما[٤] .

٢ ـ إتجاه يدرس الخصائص الأسلوبية فى لغة معينة ، يهدف إلى بحث «الطاقات التعبيرية» فى هذه اللغة سواء فى لغة الكتابة أم فى غيرها ، وهو بهذا يعتبر عملا تطبيقيا عاما يتناول «التنوعات» اللغوية على غير أساس فردى ، كذلك البحث القيم الذى قدمه David crystal و Derek Davy عن الأسلوب الإنجليزى[٥] حين تناولا الخصائص الأسلوبية للغة غير الأدبية ، فقدما لغة المحادثة ، ولغة المعلقين الرياضيين ، ولغة الدين ، ولغة التقارير الصحفية ، ولغة الوثائق

القانونية . ومن ذلك أيضا ما قدمه Leech عن لغة الشعر الإنجليزى[٦] ، وما قدمه Lodge عن لغة القصة[٧] . ومن الواضح أن الغرض من هذا الإتجاه تقديم المحيط الأسلوبى العام لتنوع لغوى محدد على أساس الموقف الكلامى أو على أساس النمط الأدبى ، واصحابه يطبقون ما يقرره علم الأسلوب العام من مستويات التحليل على أساس الصوت والكلمة والتركيب .

٣ ـ أما الاتجاه الثالث فهو الذى يدرس لغة شخص واحد كما يمثلها إنتاجه الأدبى ، وهذا هو الإتجاه الغالب فى علم الأسلوب ، وإليه تتجه معظم الرسائل الجامعية المتخصصة[٨] . وهو يخضع لغة الأديب لأنواع من التحليل يحاول بها أن يصل إلى معايير موضوعية تعين الناقد على التفسير ؛ على أن هناك ثلاثة اتجاهات أيضا فى التحليل اللغوى للنص .

(أ) اتجاه نفسى يصدر عن إيمان بأن «الأسلوب هو الرجل» ، وهو يرى أن دراسة الأسلوب لا تكون صحيحة إلا فى إطار دلالتها على خصائص المؤلف النفسية ، ومن أشهر المحاولات فى هذا الاتجاه ما قدمه العالم النمساوى Leo Spitzer الذى قدم دراسات تطبيقية على عدد من الأدباء متأثرا بآراء فرويد فى التحليل النفسى ، وقد توصل هو إلى طريقته الحاضرة فى تحليل الأسلوب فيما أسماه «الدائرة الفيلولوجية Philological Circle» وهو يشير فيها إلى منهجه على النحو التالى :

«إن ما يجب أن نعمله هو أن نبدأ من السطح إلى مركز الحياة الداخلى للعمل الفنى ، وذلك بأن نلاحظ ، أولا ، التفصيلات الظاهرة التى تظهر على سطح عمل معين ، ثم تصنف هذه التفصيلات إلى مجموعات ونبحث عن طريقة تكاملها فى الصدور عن مبدأ خلاق يكون كامنا فى «نفس» الفنان ، وأخيرا نعود على بدء بأن نبحث هذا «الشكل الداخلى» عند الفنان وانتظامه كل الظواهر الأسلوبية التى لاحظناها أولا»[٩] .

ومعنى ذلك أننا أمام ثلاث مراحل فى التحليل ، أولها أن يظل الدارس يقرأ العمل الفنى من أجل أن يتوحد مع جو هذا العمل حتى يلتقى بخاصة أسلوبية تكون غالبة عليه ، وثانيها أن يبحث عن تفسير نفسى لهذه الخاصة ، وثالثها أن يحاول البحث عن الشواهد الأخرى التى تفهم على ضوء هذا العامل النفسى .

واللغويون فى أغلب الأمر يرفضون هذا الإتجاه ، ويرونه غير بعيد مما يأخذونه على النقد الأدبى باعتباره ذاتيا وحدسيا ، ولم ينكر شبتزر ذلك ، بل أكد أن إتجاهه يعتمد على «الذكاء» و«الخبرة» و«الإيمان» . وينكر عدد آخر من اللغويين أن تكون الخصائص الأسلوبية استجابة لملامح عميقة فى عقل المؤلف أكثر من كونها «سلوكا» لغويا يكشف عن «عادات» لغوية فحسب .

(ب) اتجاه وظيفى Functional يرى أن العمل الفنى لا ينبغى أن يحلل على مستويات جزئية ، وإنما على أساس «السياق» وهو مصطلح أخذ طريقة إلى الاستقرار فى الدرس اللغوى عند فيرث وأتباعه .[١٠] ودراسة الأسلوب هنا تقرر أن كل كلمة إنما هى جزء فى جملة ، وأن كل جملة جزء فى فقرة ، وأن كل فقرة جزء فى موضوع . وعلى الباحث أن يدرس وظيفة كل هذه الأجزاء فى «سياق» العمل الفنى ، ويمكن أن تتسع دوائر البحث فى السياق من البحث فى قصيدة واحدة أو فى قصة إلى البحث فى ديوان كامل ، أو فى أعمال فنية فى فترة زمنية محددة ، وإلى البحث فى أعمال المؤلف كلها ، أو فى فن برمته حتى إنه يمكن الوصول إلى الخصائص الأسلوبية لثقافة بذاتها . وهذا اتجاه يتبعه كثير من الباحثين فى الأسلوب لكنه يكاد ينتهى إلى «إجراءات» تتكرر تكرارا مملا عند تصنيف الظواهر الأسلوبية حتى ينتظمها سياق خاص .

(جـ) اتجاه إحصائى Statistical وهذا هو الاتجاه المسيطر الآن على الدرس الأسلوبى ، وهو يصدر عن اقتناع بأنه من المهم جدا أن نقف على درجة حدوث ظاهرة لغوية معينة فى أسلوب شخصى معين وقوفا دقيقا ، لا تكفى فيه الملاحظة السريعة ، ولا يجزئ عنه الإحساس الصادر عن التقاط الظواهر . ولذلك يقتضى علم الأسلوب أن يدرس الباحثون فيه أصول علم الإحصاء دراسة كافية تمكنهم من إستخدام وسائله فى رصد الظواهر .[١١] والذى يقرأ الآن بعض الدراسات الأسلوبية مما يطبق الإحصاء تطبيقا غالبا سوف يصطدم بأجزاء كبيرة منها تملؤها «الجداول» الإحصائية والأرقام ، مع التقدم الآن إلى الإستعانة بالحاسبات الآلية ، مما إيضفى على العمل طابعا غريبا ، ومما يشعر

دارسى الأدب على العموم أن هذا الاتجاه يستعمل لغة غير مفهومة لأنها لغة غير التى ألفوها فى تناول العمل الأدبى . وكأن اللغويين لم يكتفوا بما أدخلوه فى الدرس اللغوى من مصطلحات التحليل العلمى وفنونه حتى يطبقوا ذلك على نصوص الأدب ، وقديما دفع بعض الناس أبا جعفر النحاس فى النيل حيث لقى حتفه وقد كان يحدث نفسه ببعض مسائل النحو لأنهم سمعوه يتحدث لغة غير مفهومة فظنوه يستخدم وسائل السحر أو لغة الشياطين . ويضاف إلى هذه الطبيعة الغريبة فى تناول النص الأدبى أن الإحصاء فى ذاته يحمل أوجها من النقص نشير إلى بعضها فيما يلى :

١ ـ أن الإحصاء يقتضى جهدا كبيرا قد يكون غير مطلوب فى أحيان كثيرة ، إذ أن رصد بعض الظواهر تكفيه الملاحظة «بالعين المجردة» كما يقولون .

٢ ـ أن غلبة العمل الإحصائى تحمل فى طياتها خطر سيطرة «الكم» على «الكيف» مما يفقد دراسة الأسلوب هدفها الأساسى .

٣ ـ أن الافتتان بالأرقام يوهم بدقة المنهج ، ولكنها قد تكون دقة مخادعة عند تناول الأعمال الأدبية ، لأن كثيرا من الظواهر يتداخل تداخلا عضويا بحيث يصعب إحصاء واحدة منها إحصاءا منفردا ، وقد أشار أولمان إلى الدراسة التى قدمها جراهام Graham عن الصور عند Proust حيث أحصى هذه الصور فى ٤٥٧٨ صورة ذاكرا أن الاستعارات والتشبيهات عند هذا الكاتب تتداخل وتتكامل بحيث يكون ضربا من العبث أن نبحث عن تحديد «رقمى» دقيق لها .[١٢]

٤ ـ أن الإحصاء بهذا التفتيت الرقمى يفضى إلى خطر آخر هو فقدان السبيل إلى فهم تأثير «السياق» فى العمل الأدبى ، وهو مطلب مهم جدا على ما ذكرناه آنفا .

٥ ـ أن الدقة الإحصائية لا تجدى نفعا فى «الإمساك» ببعض المسائل الغامضة أو النسبية أو المرنة كالنغمات العاطفية والإيقاع الرقيق أو المركب وغيرها

ومع كل ما ذكرناه من أوجه النقص فى الاتجاه الإحصائى مما يجعل عددا من الباحثين يعزف عنه فإنه لا يعدم جوانب مفيدة فى دراسة النصوص الأدبية نذكر منها ما يلى :

١ ـ أن الإحصاء يقدم المادة الأدبية التى يدرسها الباحث تقديما دقيقا ، والدقة فى ذاتها مطلب علمى أصيل .

٢ ـ أن التحليل الإحصائى يساعد أحيانا على حل مشكلات أدبية خالصة ، فهو قد يساعدنا ، إلى جانب شواهد أخرى فى «توثيق» النصوص الأدبية ، حين نحاول نسبة أعمال معينة إلى مؤلف معين ، وقد تساعدنا على فهم «التطور التاريخى» فى كتاباته .

٣ ـ ليس من شك فى أن ورود ظاهرة معينة مرة واحدة ، أو خمسين مرة ، أو ثلاثمائة مرة لابد أن يكون ذا دلالات مختلفة ، ومن ثم فإن الإحصاء يفضى بنا إلى البحث عن هذه الدلالات .

٤ ـ أن التحليل الإحصائى يكشف فى كثير من الأحيان عن «مقاييس» محددة فى توزيع العناصر الأسلوبية عند مؤلف معين بحيث يمكن أن تؤدى إلى أسئلة تفيد فى التفسير الجمالى .

ومهما يكن من أمر فلا يجد الباحثون بأسا من الاستعانة بالاتجاهات الثلاثة النفسية ، والوظيفية ، والإحصائية ، وفق ما تقتضيه الحال .

• مستويات التحليل :

على أن أهم ما يطبقه علم الأسلوب داخل هذه الاتجاهات أنه يستخدم مستويات التحليل اللغوى ، وهى :

١ ـ تحليل الأصوات .
٢ ـ تحليل التركيب .
٣ ـ تحليل الألفاظ .

أولا : الأصوات :

والتحليل الصوتى فى علم الأسلوب Phonostylistics يقتضى أولا معرفة الخصائص الصوتية فى اللغة العادية ، وبعد ذلك يتوجه إلى رصد الظواهر الخارجة عن النمط والبحث فى دلالتها فيما يفيد دراسة الأسلوب . والأغلب أننا لا نحلل النص الأدبى تحليلا صوتيا يتتبع كل التفصيلات التى ينتظمها علم الأصوات ، فنحن هنا لا نهتم أهتماما كبيرا بالأصوات الصامتة Consonants والصائتة Vowels مثلا إلا أن تكون لبعضها درجة واضحة من

الكثرة تقتضى الالتفات والتفسير . أما الجوانب المهمة الأخرى التى يركز عليها التحليل الصوتى للأسلوب فتكاد تنحصر فيما يلى :

الوقف :

وهو ظاهرة صوتية هامة جدا لأنها ترتبط بالمعنى ارتباطا مباشرا ، ومن المعروف أن العرب القدماء اهتموا بها اهتماما واضحا فى قراءة النص القرآنى حتى إنهم أفردوا لها كتبا متخصصة درسوا فيها أنواع الوقف من واجب وجائز وممتنع وحسن وقبيح وغير ذلك ، ورسم المصحف يشمل كما نعلم رموزا تحدد أنواع الوقف للقارئ . والأمر فى ذلك مفهوم لأنه يتصل بالقراءة التى هى فى أساسها أصل من أصول التشريع . على أن القدماء لم يلتفتوا إلى هذه الظاهرة عند تناولهم للشعر ولم يرد عنهم ما يفيد انتفاعهم بها فى شروحهم الكثيرة التى وصلت إلينا . والحق أن وجود الشعر القديم مكتوبا بين أيدينا حرمنا من رصد هذه الظاهرة فيه ، وليس بمستساغ لدينا أن الشعر العربى بأوزانه المعروفة بحدودها فى التفعيلة والشطر والبيت يغنى عن ملاحظة «الوقف» فيه ، وليس بمستساغ عندنا أيضا أن أبا تمام والبحترى والمتنبى كانوا ينشدون شعرهم فلا «يقفون» إلا عند آخر الشطر أو آخر البيت ، ولا نشك فى أنه لو أتيحت لنا فرصة سماعهم أو قراءة وصف لطريقة إنشادهم لكان لدرس «الوقف» الشعرى شأن آخر .

الوزن :

دراسة «الوقف» إذن تقود إلى دراسة «الوزن» وتكشف عما يمكن أن ينتظمه من «تنوعات» فردية ذات دلالات خاصة ، والحق أن ذلك قد يكون أكثر وضوحا فى دراسة «الشعر الحديث» الذى لا تتساوى فيه أبيات القصيدة الواحدة ، ويؤدى الوقف دورا أساسيا ، لكن ذلك مفيد أيضا فى دراسة الشعر التقليدى ، وقد قدم علماء الأسلوب الغربيون دراسات كثيرة حللوا فيها أنماط الوقف على أنواع كثيرة من الشعر ، مشيرين إلى أنه ليس مقصورا على ما يعرف «بحدود» الكلمات أو حدود الأبيات ، بل قد يكون وقفا داخليا لا مناص منه فى فهم الشعر وفى فهم الوزن الذى ينتظم فيه ، ومن هذا الوقف الداخلى ما قدموه من دراستهم لشعر شكسبير فى مثل الأبيات الآتية التى تلحظ فيها أهمية الوقف وضرورته غير مرتبط بنهاية الأبيات .[١٣]

Is whispering nothing?
Is leaning cheek to cheek? Is meating noses?
Kissing with inside lip? Stopping the career
Of laughter with a sigh (a note infallible
Of breaking honesty)? Horsing foot on foot?
Skulling in corners? Wishing clocks more swift?
Hours, minutes? noon, midnight? And all eyes
Blind with the pin and wed, but theirs, theirs only.

النبر ، والمقطع :

ودراسة الوزن تقودنا إلى ضرورة دراسة «النبر» Stress ، وهى دراسة لم تحظ حتى الآن باهتمام فى الدرس العربى رغم أهميتها فى اختلاف «المعنى» وتنويعه ، وهى ذات أهمية خاصة فى دراسة «المقطع» فى اللغة وعلى الأخص فيما يتصل بالشعر ، ولا نحسب أن القدماء كانوا غافلين عن هذه الظاهرة لأن حديثهم عن التفعيلة وما تتكون منه من أسباب وأوتاد وفواصل وما يطرأ عليها من زحافات وعلل لا يبتعد كثيرا عن دراسة المقطع ، وقد كان جديرا بالمتابعة والتطوير لكننا وقفنا عند الذى رصدوه وقرروه .

وتأتى بعد ذلك دراسة «التنغيم» Intonation ودراسة «القافية» ، وكل أولئك كما هو ظاهر ليس صورة كاملة لما يقدمه علم الأصوات العام ، ولكنه يركز على الظواهر التى يمكن أن تفيد عند رصدها وتصنيفها ، فى فهم أسلوب معين .

وغنى عن البيان أن ذلك ليس مقصورا على الشعر وحده ، لأن الأسلوب النثرى ينتظم أنماطا كثيرة من الوقف والنبر والمقطع والتنغيم .

■ ثانيا : التركيب :

وقد احتفل علماء العربية بدراسة الجملة فقدموا أنماطها وأركانها ودلالتها الحقيقية والمجازية وطبقوا ذلك على كثير من النصوص وبخاصة على القرآن الكريم .

وعلم الأسلوب يرى فى دراسة «التركيب» عنصرا مهما جدا فى بحث الخصائص المميزة لمؤلف معين ، وهو فى الأغلب يتوجه إلى بحث العناصر الآتية :

١ ـ دراسة طول الجملة وقصرها .
٢ ـ دراسة أركان التركيب وبخاصة المبتدأ أو الخبر ،

والفعل ، والفاعل ، والعلاقة بين الصفة والموصوف ، والإضافة ، والصلة وغير ذلك .

٣ ـ دراسة « الروابط » كبحث استعمال المؤلف للواو ، أو الفاء ، أو ثم ، أو إذن أو أما ، أو إمّا ودلالة كل ذلك على خصائص الأسلوب .

٤ ـ دراسة « ترتيب » التركيب ، وهو من أهم عناصر البحث فى الأسلوب ، لأن تقديم عنصر أو تأخيره يؤدى فى الأغلب إلى تغيير فى الدلالة ولأن الأديب لا يلتزم دائما بقواعد الترتيب العامة التى يرصدها اللغويون فى اللغة العادية . وقد لاحظ الدارسون أن Keats يميل إلى تغيير كبير فى ترتيب الجمل ، من نحو :

«Much have I travell'd in the realms of gold» مثل

«Yet did I never breathe its pure serene» ومثل (١١) .

«Then felt I like some watcher of the skies».

٥ ـ دراسة « الفضائل النحوية » كالتذكير والتأنيث والتعريف والتنكير والعدد .

٦ ـ دراسة الصيغ الفعلية ، وتركيباتها ، والزمن ، وتتابعه .

٧ ـ دراسة البناء للمعلوم والبناء للمجهول .

٨ ـ يميل علماء الأسلوب إلى استخدام طريقة النحو التحويلى فى بحث « البنية العميقة » لتركيبات مؤلف معين ، لأنها تساعد أولا على فهم كثير من المسائل الغامضة فى النص ، وتساعد ثانيا على معرفة ما أضافه هذا المؤلف إلى أساليب اللغة فى التركيب . انظر مثلا إلى الجملة الآتية فى قصة من قصص James Joyce

«Gazing up into the darkness. I saw myself as a creature driven and derided by vanity».

يمكن تحليلها على « البنية العميقة » دون أن تفقد شيئا من المضمون على النحو التالى :

«I gazed up into the darkness. I saw myself as a creature - The creature was driven by Vanity».

على أن دراسة التركيب عند الأسلوبيين لا تقتصر على بحث جزء الجملة أو الجملة ، وانما يتعداها إلى بحث الفقرة والموضع ثم العمل الفنى كاملا .

■ ثالثا : الألفاظ :

وهو من أهم عناصر التحليل الأسلوبى لما له من تأثير جوهرى على المعانى ، ونحن نركز هنا على ما يلى :

١ ـ دراسة الكلمة وتركيباتها وبخاصة بحث « المورفيمات » التى يستخدمها المؤلف .

٢ ـ الصيغ الاشتقاقية وتأثيرها على الفكرة .

٣ ـ « المصاحبات » اللغوية Collocations إذ أن هناك ألفاظا معينة فى اللغة لا نكاد ننطقها إلا وتستصحب معها ألفاظا أخرى معينة ، ولابد من رصد هذه المصاحبات فى موضوع معين عند مؤلف معين .

٤ ـ دراسة المجاز على أن يكون ذلك مجازا أصيلا بمعنى ألا نجرى وراء كل ما نلحظ من أركان التشبيه أو الاستعارة لأن كثيرا منها يتحول مع الزمن ومع الاستعمال إلى مجاز « ميت » أو مجاز « نائم » ، فنحن حين نتحدث الآن مثلا عن « ميدان دراسة الأسلوب » و« أدواتها » ، و« أهدافها » وعن « إلقاء الضوء على الملامح المميزة لمؤلف معين » لا نتحدث حديثا مجازيا لأن هذه الألفاظ فقدت طبيعتها الاستعارية فقدانا كاملا أو غير كامل وفق ما يشير إليه السياق .

وبعد ، فهذه مستويات التحليل التى يتبعها دارسو الأسلوب اللالغويين ، وهم يطبقون طريقتهم فى التحليل اللغوى ، ويستخدمون الإحصاء على ما بيناه ، وذلك فى ظنهم يقدم معايير موضوعية يمكن للناقد الأدبى أن يعتمد عليها فى الوصول إلى موضوعية التفسير .

ولنا بعد ذلك ملاحظتان :

■ الملاحظة الأولى :

أن عددا كبيرا من الباحثين اللغويين الناشئين بدأ يتجه إلى علم الأسلوب فى إعداد الرسائل الجامعية المتخصصة ، وتلك ظاهرة طيبة تتيح لهم فرصة الاتصال بالتحليل اللغوى الحديث من ناحية ، وتجعلهم يتصلون بالنصوص الأدبية من ناحية أخرى بما يبعد عن أعمالهم « جفاف » العلم الذى يلح عليه الدرس اللغوى الحديث . لكن الملاحظ أن معظم هذه الرسائل يقع فى شيئين :

أولهما : غياب المنهج حتى ليختلط الأمر على أصحابها بين البحث اللغوى والبحث فى تاريخ الأدب أو النقد وهم يركزون فى الأغلب على مبحث الألفاظ لكن على منهج غير علمى يمكن أن يسمى تجاوزا درسا فيلولوجيا ، لأنهم يبذلون أغلب الجهد فى محاولة تتبع ألفاظ المؤلف وتطورها من مدلولاتها « المادية » إلى مدلولات « مجردة » معتمدين فى ذلك على المعاجم العربية القديمة ، وكل

ذلك غير جائز لأن مادة المعاجم التى بين أيدينا لا تصلح فى دراسة تطور الألفاظ ومدلولاتها ، ومثل هذا العمل ينبغى أن يعتمد على النصوص وعلى الاستعمال ، وهو مطلب غير يسير .

وثانيها : أن الباحثين الذين يتصلون بالدرس اللغوى الحديث ومناهجه يطبقون على بحث الأسلوب طريقة الإحصاء تطبيقا شاملا بحيث ينتهى العمل العلمى دون أن تجد لهذا الجهد نفعا فيما تحتاجه النصوص من تفسير .

■ **والملاحظة الثانية :**

أن الدراسات القديمة كانت تتميز بوجود « البلاغة » فى أشكالها القديمة ، وأن هذه البلاغة فقدت مكانها فى الدرس الحديث ، فهل يؤدى « علم الأسلوب » إلى نشأة ما يمكن أن نسميه « البلاغة الجديدة » ؟ وهل يؤدى ذلك كله إلى ما يمكن أن نطلق عليه « النقد الشامل » ؟

■ هوامش البحث

1. De Saussure: **Course in General Linguistics,** Translated by Wade Baskin, London 1964, p. 232.
2. Chomsky: **Cartesian Linguistics,** Harper & Row. New York, 1966.
3. Chomsky: **Language and Mind,** Harcourt Brace Jovanovich, Inc New York,1972.
4. Stephan Ullmann, **Language and Style,** Blackwell, Oxford, 1964.

   Mcintosh and Halliday, **Patterns of Language,** Longman, 1966.
5. David Grystal and Derek Davy, **Investigating English style.** Longman. 1969.
6. G.N. Leech, **A Linguistic Guide to English Poetry,** Longman, 1969.
7. David Lodge, **Language of Fiction: Essays in Criticism and verbal Analysis of the English Novel,** «Routledge, 1966».
8. ..قدم الدكتور على عزت فى هذا المجال دراسة موجزة عن شعر صلاح عبد الصبور وبدر شاكر السياب :

   Ezzat, A., «Linguistics and the Interpretation of Literature», in, **Essays on Language and Literature,** Beirut, Arab University Publications Beirut, 1972.

   « « **Language and Implications in the Poetry of Badr Shaker El-Sayyab, a Lexical Statement»,** in **Studies in Linguistics,** Beirut Arab University - 1975.

   وقد ظهرت له دراسة مماثلة بالعربية : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ .
9. Quoted from his «Linguistics and Literary History» in Ullmann: **Language and style»** p. 122.

   أنظر كتابنا : اللغة وعلوم المجتمع ، الاسكندرية ١٩٧٧ ص ٢٢ ـ ٣٤ .
11. Graham Hough. **Style and Stylistics,** Routledge 1969.
12. **Language and Style, op. cit., p. 119.**
13. quoted from Act I of the Winter's Tale, in Turner, **Stylistics,** Penguin, 1973, p. 39.
14. Ibid., p. 77.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی